محاضرات في الاتجاهات الفكرية

في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث

الجامعة العربية عام ١٩٥٨

يعد الدكتور جميل صليبا من افذاذ المختصين بالتربية وعلم النفس في العالم العربي ، فهو من أنداد الدكاترة : عبد العزيز القوحي ويوسف مرادوأمير بقطر ، وامثالهم في بقية الاقطار ، وان يكون محصوله المكتوب أقل من مؤلفاتهم العديدة في الموضوعات التي تمرسوا بها ووقفوا حياتهم الفكرية والثقافية على تتبع ما جد فيها وابتكر ، والتوجيه على نورها ومعاييرها .

ولعل الدكتور صليبا ضاق بعالم التربية الذي خاض فيها معلما وعميدا ومؤلفا ومرشدا ، زهاء ثلاثين عاما ، فوجد عالم الادب اوسع افقا واقرب مجالا ، فلما صار مجمعيا دمشقيا ارضى هدف المجمع بنشر مخطوط « الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي » وقد اتعب نفسه في تحقيقها لان ضررها اكبر من نفعها ، ولولا ضجيج السياسة التي شغلت السوريين في حينها ـ وفي السياسة احيانا رحمة ـ لانكر المخلصون من علماء الدين والاصلاح هذا الصنيع الخائب لما في هذا المخطوط من فتنة الفكر والقول

ثم اعرض الدكتور صليبا عن صفرة المخطوطات وغبارها ، واخذته التيارات الفكرية التي تقاذفت البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية فأحب ان يكون له رأي ودراسة فيها بعد ان اقنع وجدانه بتوسيع معنى الادب الذي وجده ضيقا مقصورا على شعر الادباء ونثرهم « مع ان في تاريخنا الثقافي الحديث مؤرخين وخغرافيين وعلماء وفلاسفة لم نقبل بعد على دراسة ادبهم في مؤلفاتهم » (١) ولو ان الدكتور صليبا قال بازدواج المواهب وتعددها في بعض الاعلام من الغابرين والمعاصرين الذين جمعوا بين العلم والادب ، وبرزوا في الافقين ، لما كان على قوله غبار ، فهو يرى « ان من واجب الباحث في الاتجاهات الادبية في بلاد الشام ان لا يهمل نثر الكتاب العلميين واساليبهم الموضوعية » وان لانتاجهم الفكري في حياتنا اثرا لا يقل عن اثر الادب بمعناه الضيق ، وربما فضل الربي العميد ادب العلماء « لانه يراه موضوعيا نظاميا وادب الشعراء ذاتيا شخصيا مبنيا على الالهام والانفعال والخيال » ويجد في الحقائق التي يتناولها العلماء والمؤرخون والفلاسفة بالبحث جمالا لا يقل روعة عن تصوير الشعراء (٢)

وفي الامثلة التي ضربها المؤلف سمى الامير مصطفى الشهابي وعبد الرحمن شهبندر وفارس الخوري وفرح انطون كتابا علميين ، وهم كما يعرف القراء ممن تعددت مواهبهم وتزاوجت مآثيهم ومعطياتهم ، فقالوا الشعر والنثر من الطراز الرفيع ، دون تكلف ولا تقليد ، الى جانب اختصاصهم بالهندسة والطب والصحافة والسياسة ، ومثل هؤلاء في سوريا طائفة من نوابغ مصرفي الادب فيهم العالم الدكتور احمد زكي والجراح محمد كامل حسين ، والطبيب ابراهيم ناجي والمهندس علي محمود طه ، وفي لبنان الدكتور نقولا فياض والدكتور حبيب ثابت وغيرهما

ولنعد بعد هذا الاستطراد الاضطراري الى بحث الدكتور صليبا « في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث » فنتساءل عما جعل أستاذنا الجامعي الكبير يختار هذا العنوان الطويل العريض الذي لو وزع موضوعه على عدة أجزاء وفصول لما استوفت الغاية وحققت المراد ، وقد قضت المناهج العلمية في التأليف والدراسة الموضوعية تحديد الفكرة والصورة ، لكن المؤلف المحاضر جعل كتابه يتناول بلاد الشام على المصطلح الجغرافي القديم ، فهو يتكلم تارة على سوريا ويفصل الكلام ، وتارة يمر بلبنان ، وحينا يطل على الاردن ، فما انحصر بحثه في الاتجاه الفكري بمنطقة واحدة ، ومجال محدد المكان والزمان ، كما يتطلب المنهاج والنظام في التأليف والتحليل ، وهو القائل « وانى للكاتب ان يبدع في بحثه اذا كان موضوعه غير محدد والفاظه غير معرفة وغاياته غير موضحة ؟ » وبخاصة اذا استمد أفكاره من القلب والعاطفة اكثر مما استمدها من العقل والنظر (١) ومحاضرنا العالم كما يبدو للمتتبع كتب بحثه في ظلال النفس ومداد الود

قال الدكتور صليبا في محاضرته الاولى ان الباحث في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث لا بد له من دراسة الظواهر التي تكشف عن المنازع السياسية والاقتصادية والتيارات الاجتماعية والادبية ليمكننا ان نجد في هذه الظواهر نقاط ابتداء لبحث

(١) ص ٢٠٤ من الاتجاهات الفكرية

(٢) ص ١٩٢

(١) ص ٧٨ من الاتجاهات الفكرية

الاتجاهات الفكرية الجديدة ، فنتكلم اولا على طبائع اهل الشام ثم في العوامل المؤثرة في نهضة بلادهم ، وبعدئذ نبحث في الاتجاهات التي نشأت عندهم او تسربت اليهم من البلاد الاجنبية ، فبين اصلها ومنشأها وعلاقتها بطبائع اهل الشام وكيف انتقلت اليهم بالعدوى او بالاختيار » غير ان المربي الكبير الذي القى موضوعه الواسع المتفرع محاضرات على طلاب الدراسة اللغوية والادبية في الجامعة العربية وجد البحث في طباع الامة صعبا وجمع الصفات في تعريف واحد عسيرا اذ ان الشاميين جميعا يختلفون في هذه الصفات التي تتبدل بتبدل العصر والبيئة والوراثة ، ثم قال ان الباحث لا يهتم بالاختلاف الفردي والاقليمي والتاريخي اهتمامه بالصفات العامة ، ويعتقد ان معظمها مشترك بين الشاميين وغيرهم من أبناء الامة العربية »

ولقد افاض العميد الجليل في هذا الفصل تحليلا وتأويلا حتى حمل اللغة العربية أسباب الطبائع والخصائص النفسية والروحية لانها تطبع المتكلمين بها بميسم واحد سواء كانوا من العراق او من مصر وبلاد الشام على اخذه بالمصطلح القديم ، وبهذا الاعتقاد والتقرير اعطى المؤلف الجليل اللغة وظيفة غيرها من العوامل العنصرية والطبيعية ، وهذا مما لا يقره عليه علماء الاجتماع ، على ان تحليله للطباع كان علميا مستندا الى الواقع والتجارب والمقارنة ، لكن القارىء المطلع يحس تفاوت الصفات في هذه الاقاليم والمناطق ، فما صور به اهل سوريا او فلسطين يختلف عما هو بالعراق ولبنان بقدر محدد في السجية والمزاج ، ولا يطابق بين جميع الشاميين من جبال طوروس الى صحراء سينا ومن البحر الابيض المتوسط الى بادية الشام »

وحين تكلم الدكتور صليبا على تاسيس الجمعيات والاحزاب السياسية في بضع صفحات كان المامه بالقديم البعيد والحديث القريب متخطفا عابرا في ممر ، وبطيئا مستانيا عند كلامه على الرابطة الادبية التي انشئت عام ١٩٢١ اذ كان رئيسها يومذاك هو رئيس المجمع العلمي العربي اليوم ، ولا اثر في هذه الصفحات للكلام على اي حزب او جمعية بفلسطين او الاردن ، والمحاضر نفسه وسع عنوانه على بلاد الشام كلها ، وكان هو يتحدث عما في موطنه ينسى ان يتحدث عن بلاد الشام كلها بالاصطلاح القديم ، وفي الفصل الذي بسط فيه القول عن حركة الترجمة والتاليف نقدا وتقريظا وتحليلا ، كان ينصب اكثر كلامه على الاتجاه القومي بسورية وحدها ، معولا على ما قال الاستاذ الجليل ساطع الحصري في هذا الموضوع فكان يبديء ويعيد في آرائه ، وحين وصل الى الاتجاه الوطني والانساني خلط بالمقارنة بين العتيق والجديد في صيحة الاصلاح القومي والعدل الاجتماعي ، وجاء بشعر ونثر للاستشهاد والتاييد كان فيهما مرضاة الصداقة اكثر من ايثار الحقيقة .

وفي الشعر الجنسي اختار المحاضر العميد قصائد ومقطوعات لابي ريشة وأبي شبكة وامين نخله ونزار قباني وعلي الناصر ، تتفاوت قوة وضعفا وتبذلا ووصفا للشهوات العارمة وقد ذكرها دون تفريق في مثلها الفنية والجمالية ، ولا ندري والمحاضر الجليل يعرضها دلالة على شيوع لونها ، وفيها أبيات فاضحة متعرية ما هو رأيه فيها وتقديره الفني لصور الفنون في ألفاظها ومعانيها ، وأكثرها شبيه بالصور الفوتغرافية التي تمنع شرطة الاداب تداولها ، وكنا ننتظر من استاذنا الجليل رأيا حاسما في ظهورها بشعرنا الحديث ورواجها في الاسواق وبين المراهقين والمراهقات

وكان البحث في المذهب الرمزي قلقا وقد سمي الباحث الفاضل المعاني العميقة في النثر والشعر رموزا واستشهد بأبيات ليس فيها مجاز ولا الغاز ، وانما فيها تيهان في التعبير والالوان ، ولا ادري كيف فات المحاضر الكبير ذكر شاعر دمشقي موهوب هو الدكتور بديع حقي وقد عرفناه من اقوى الرمزيين المعدودين في البلاد العربية

ولا بد للباحث في هذه الاتجاهات الفكرية من التعرض لقضية الفصحى والعامية ، وقد اغفلها الدكتور صليبا في كتابه هذا ، كما اغفل اثر المرأة في هذه الاتجاهات ، فلم يذكر ماري عجمي وهو من ادرى الناس بمكانتها الفكرية ، وأهمل اترابها ونظائرها في لبنان كسلمى صايغ وعفيفة صعب وماري يني وروز غريب وسواهن ، ونسي ان في الاردن فدوى طوقان شاعرة كبيرة هي اجدر بالذكر من النظاميين والمتشاعرين الذين نوه بأبياتهم الخاوية ، على اني اعود الى نفسي بالتعنيف فقد اكون السبب في اهمال اثر المرأة بكتاب العميد الجليل الذي عرفناه بحلمه وعلمه وربما آخذهن بجريرتي عنده وتحاشى ذكرهن حتى لا يضطر الى المرور باسمي ، ومعاذ الله ان أراني جديرة بالمرور والاشارة ، واني لاربأ بحدسه ونفسه ان يحمل علي ضغينة اذا كنت انقدت تحقيقه للرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (١)

وبعد فقد كان الاولى بعالم التربية ان يحظى بكتاب جديد من عميد المربين واساتذة علم النفس بالاقليم السوري ، فان هذا العالم الخطير بحاجة الى الموضوع الذي تمرس به واتقنه ، اما تأليفه المحاضرات لتسجيل الحياة الفكرية على اختلاف الوانها وأوطانها في اكثر من نصف قرن وفي بلاد الشام على الاصطلاح القديم وتبديل معنى الادب بتوسيعه والتجاوز عن أصالته وحقيقته فامر لا يبدو هينا وان بدت المحاولة فيه والمغالطة ، وقد تعود قارىء المربي الجليل الدكتور صليبا ان يجد لديه الفائدة والتوجيه والحكم التجريدي ، ولعله في هذا المجهود الضخم فتح الباب لمن يستطيع بعده ان يتقن البحث المجرد في الموضوع المحدد كما صنع الاديب الثبت الدكتور ناصر الدين الاسد في محاضرته القيمة المسددة عن الحركة الفكرية بفلسطين .

دمشق — **وداد سكاكيني**

(١) نشر هذا النقد بمجلة « الثقافة » المصرية التي كان يشرف على تحريرها استاذنا المرحوم احمد امين .

« محمود والقمر »

رواية شعرية لموسى النقدي

قال سمونيدس : ـ الرسم شعر صامت ، والشعر صورة ناطقة ... واذا علمنا بان النفس هي مصدر الشعر والمسؤلة عنه كما يقول « ادغار الان بو » ، غدا من البديهيات المؤكدة ان يتأثر الشعر بالشاعر في جميع تطوراته النفسية والعقلية ، وان يكون صورة حية نابضة لما يعتمل في ذات الشاعر من التجارب الدافقة بكل ما تحمل من تراكب وتعقيد ، ذي اثر عميق في تكوين العمل الفني والذي هو حصيلة المخاض في مجال

الخلق والابداع ، سيما وان الشعراء خالقون ، لا صانعون ـ بشهادة ـ (هكسلي) .

نخرج من هذا بأن تطور الشعر شكلاً ومضمونا لم يكن من قبيل البدع والمصادفات . بل هو : حاجة ماسة ، وضرورة تاريخية علمية عميقة . تستدعي الشاعر ـ القابع في برجه العاجي ـ الى الخروج عن فرديته الضيقة ، والاندماج في خضم الحياة الانسانية ومجالات المجتمع الرحيبة الزاخرة بالحوادث والمشكلات والتعقيدات ، الشاملة البعيدة والتي وسمت جميع مظاهر الحياة بالسمات الحديثة النامية ، ذات الابعاد المتعددة والمتأثرة بكل جديد من اليقظات الفكرية والاجتماعية في صراع الافراد مع النظم الاجتماعية والفلسفية ، لبناء كيانات وخلق حيوات مستحدثة غنية . لذا كان لزاما على الشاعر ان ينزع هذا المنزع الجديد المتطور ، وان يتحرى الاساليب والتعابير الاكثر حرية وبساطة وعفوية في خلق العمل الفني ، ولكي يقدر ان يعيش تجربته الفنية بصدق وحرارة ، وان يعبر عنها بمثل هذه الاطر والاشكال !!. من كل ما تقدم ، نتبين بأن الشعر الحر ، هو الصورة النهائية الصادقة لعصرنا الحاضر ، ولا داعي لان نجهد انفسنا في الرد على مناهضي هذا اللون من الشعر بدعوى انه غير ملتزم العامود الشعري التقليدي ، ولانه مفرط في استيراد الصور الغامضة المعتمة ، والتعابير الغريبة الطارئة على الشعر العربي واغراضه . ويكفي ان نعلم بأن عماد الشعر الحر ، هو ذخيرة الشاعر من الصور .. والتي يمكنه بواسطتها ان ينقل ارتعاشة التجربة ، والهزة الشعورية الفنية بالايحاءات النفسية المعطاءة ..

واذا كانت الصورة الشعرية القديمة تشكل جزءا في القصيدة التقليدية ، واذا كان في مكنة الشاعر سابقا ان يعبر عن تجربته بجملة من التشابيه والمجازات والاستعارات الساذجة الهزيلة .. ويكون بذلك قد اوفى حظه من الابداع والاجادة نرى الشاعر المعاصر بعكس هذا تماما، اذ ان الصور والايحاءات النفسية والترابط اللامنطقي ، هي عدته في التعبير عن الحالات الغريبة والخلجات النفسية الهاجسة ، والانفعالات اللاشعورية العميقة ، مضيفا اليها رصيده من ... (الفولكلور) الشعبي والصور والامثال الشعبية ، وحتى الخرافات والاساطير والقصص الخيالية ذات الدلالة العلمية والاجتماعية في نمو العمل الفني الناضج واستكمال قيمه الايجابية الصادقة في التعبير . اذ ان الشاعر المعاصر لم يعد مقتصرا على جملة من التعابير اللفظية المحنطة والقوالب المصلبة الجامدة، في خلق وابداع الاعمال الفنية . معنى ذلك ان الشاعر قد اصبح مع الاخرين البسطاء معبرا عن همومهم ومسراتهم ، مستوحيا آمالهم وامانيهم البريئة الخيرة ، وحبهم العظيم وكما قال احد الشعراء الرومانيين ـ يأخذ منهم ليعطي اليهم ... (الشعر عمل خلقي .. انه لقوي ومبني بقدر ما يخرج من الانسان ليتصل بالانسان).. وهذا ما استطاع ان يحققه اكثر الشعراء المعاصرين ...

(بعد هذا التمهيد المبتسر عن الشعر الحر ، نخلص الى موضوع درسنا ومناقشتنا للرواية الشعرية ... (محمود والقمر) للشاعر العراقي موسى النقدي ... و (محمود والقمر) هذه قصيدة مطولة دعاها الشاعر (موسى) برواية شعرية . ـ ولا ادري صحة هذه التسمية بالنسبة للمفهوم العلمي للرواية الشعرية ـ .. واذا كان ثمة ما يقال فيها وفي صاحبها .. فليس ادل من قول الاستاذ الشاعر عبد الوهاب البياتي في تقديمه لمجموعة الشاعر السابقة (اغاني الغابة) وبعد فهذه القصيدة (لشاعر مغامر يولد تحت ظلال سيوف ورايات الشعراء المزقة ، فيها خطوط متباينة لقصائد احلى لم يكتبها بعد .. الخ) .. وفيها الى جانب الابداع ، والصدق ، والعاطفة ، ضعف ، وتهافت ، وافتعال ..!!

قصة (محمود والقمر) تتلخص بحياة رجل من الدهماء عاش حياة مريرة وكفاحا قاسيا من اجل العيش ، وتعرض خلال حياته لاصناف من التجارب والمحن كان لها ابعد الاثر في معرفته لنفسه وتفتح وعيه على معنى وجوده ، والقمر هنا يعني الرغيف الاسود الذي بقي محمود يطارده طيلة عشرة اعوام وهو يزلق من يديه كالقمر !!..

(حياته خريف ـ عشرة اعوام بلا مكان ـ يأوي اليه او يعيش فيه ـ بلا غد في الحلم يرتجيه ـ بلا مكان ـ قضى الحياة راكضا ركض الدخان ـ يضرب بالحجر ـ جبهته ويعبد الاله والبشر ـ ليملك الرغيف ، والرغيف ـ يزلق من يديه كالقمر .)

الشاعر هنا وفي هذا المقطع بالذات يصور حياة محمود التعيسة الساذجة ، والبريئة بدقة شفيفة وعفوية سخية بالمعطيات الانسانية الرائعة ودون ما تكلف او افتعال ، او جعجعة بيانية فارغة .. وحين نتابع تطور ونمو حياة البطل عبر مسار القصيدة وبالاخص حين يصور الشاعر سني محمود العشر العقيمة التي قضاها ..(بلا مكان .. يأوي اليه او يعيش فيه ..) نراه يغرق لحد الاسفاف والتهافت في نثرية مقرفة وسرد ممل أجوف . مما يصيب القصيدة ويدمغها بالفقر والرتابة ويحول دون التعاطف الوجداني والنفسي بين القارىء والبطل وهو يعيش انفعالاته وازماته بمثل هذه الالية والسرد الباهت ..

.. عشرة اعوام وعيناه على القمر ـ ولا يراه غير مرتين او ثلاث ـ في قلب كل شهر ـ يحب ان يصيده لكي يعيش في ضياء ـ مثل البشر ـ لكي يحس انه شيء له كيان ـ غير الدخان ـ لكي يحس انه انسان .) ..(وبعد هذه التوطئة يمضي بنا الشاعر مصورا خط حياة (محمود) عبر القصيدة ، مكتفيا في ذاته الفردية ذوات مئات من الرجال البسطاء ، في صراعهم اللعين مع البيئة والتقاليد من اجل البقاء ولكي يمتلكوا انسانيتهم المسحوقة المتلاشية ، وآدميتهم الممسوخة المزقة بين انياب الفاقة والعوز والتدهور الخلقي في هذا العصر الحضاري المعقد لدرجة الجنون والعته !!.. وطريقة الشاعر في سرد احداث القصة واطراد النمو الفكري والنضج العقلي والعاطفي للبطل خلال مأساته مبنية على استرجاع الماضي الاجتماعي للبطل بطريقة التداعي الفكري والمونولوغ الداخلي احيانا ، الا اننا كثيرا ما نصدم بالوصف التصويري والنقل الفوتوغرافي في سرد الاحداث او الماجريات ، مما يبعث على واد المواقف الانفعالية الخصبة وتكليس وجدان القارىء ضمن حدود ضيقة جافة من التقريرية والوصف المباشر ، دون الانفعال الموحي والتصادي العميق لاحاسيس القارىء مع الاجواء النفسية والمواقف الانفعالية التي يخلقها الشاعر المبدع بأمكانية قديرة على الاثارة والتأزم . كما نجد مثال ذلك في وصف احاسيس ومشاعر الطفل (محمود) حين يحدثنا عن حياة الطفولة الشقية وايامها النكرة السوداء التي قضاها مع ابيه . الرجل الريفي الجاهل وكيف كان يقسو عليه وعلى امه بالضرب والاهمال وتضيع النقود في الاسراف على ملذاته ومباذله دون ان يترك لهم ما يقيم الاود، ودون ان يعلم بأنهم يحترقون احتراق الشمع في النيران المستعرة (ومنذ

ان مات ابوه عاش في سلام ـ كان ابوه يعشق النساء ـ والخمر والقهوة والسفر ـ يسوح في كل بلد ـ وراء رزقه الذي طار الى الابد ـ ويعبد الله ، وعند فورة الغضب ـ يسبه وحالما صوابه يعود ـ يرفع كفيه الى السماء ـ بالدمع والصلاة والدعاء ـ يسأله العفو لما بدر ـ ولم يزل يذكر كيف كان ـ يرعبه بنظرة الوقار ـ ويلعن الزمان ـ اذا رآه جالسا يضحك كالحمار ـ وكيف كان ـ يلوذ بالفوث وبالامان ـ من امه ، وامه تهدر : « هل نموت جوع » ـ فانت تنثر النقود ـ على البغايا والخمور والـ...ورود ـ ونحن ننثر الدموع ـ الى متى كالشمع في نيراننا نموع.). ..(وهنا وفي قرارة الدوامة المجنونة الصاخبة كان يعيش (محمود) الطفل، موزع النفس ، كسير الفؤاد . يدور في عينيه سؤال مبهم قلق ، وتصطرع في قلبه الفض جواذب متنافرة غامضة من السلب والايجاب المتمثل في ابيه من جانب وامه من جانب اخر ... ومع ذلك نستطيع ان نلمس من خلال هذه الازدواجية المعقدة والحياة الملتاثة حبا عميقا نابضا للام الحنونة التي كانت ملاذ الطفل في ساعات الضيق والشقاء .. واشهد بأن الشاعر قد اعطانا في هذا المقطع انبل واجمل صورة ناطقة معبرة لاحاسيس الطفولة الطرية الراعشة بالحب والمسرة ، ولا اعدو الحقيقة اذا قلت بأن اروع ما استطاع ان يقدمه الشاعر خلال القصيدة من تحليل وتصوير لخلجات النفس الدقيقة وللاماني البريئة الهفهافة في سريرة (الطفل محمود) نحو امه ، هو هذه الابيات .. (محمود لا ينسبي ابدا ـ وامه اجمل ما في الارض من نساء ـ يذكر مذ كان صغيرا كيف في الصباح ـ تنهض من فراشها كأنها عروس ـ في عنقها قلادة الليرات مثل زوجة الامير ـ ارجوحة منضودة من اجمل النقود ـ وشعرها ضفيرتان حلوتان من حرير ـ وحينما تنقر بالرجلين باحة الرواق ـ توسوس الحجول في صوت حبيب ـ وسوسة يهفو لها فؤاده الرطيب ـ فيشتهي العودة كالرضيع ـ لصدر امه لما ينبض فيه من حنان ـ لكل ما يضم من دفىء ومن امان ـ) .

وهكذا تستلي الاحداث وتتابع المراحل في خط تطوري صاعد . تتفتح خلاله بصيرة (محمود) ووعيه على فيض زاخر من المتناقضات والملابسات والتعقيدات والتجارب المريرة التي عاناها بصبر واناة ، وزادت في وعيه وادراكه لحقيقة الحياة التي يعيشها مع الاخرين !!.. وثمة تجربة عميقة قاسية تعرض لها واستطاع بما يملك من وعي فطري واحساس غريزي ان يدرك من خلالها اعقد مشكلة اجتماعية عرفتها الطبقات المنحلة ، ونزلت من جرائها الى دركات سحيقة من التردي والاضمحلال نتيجة لترسبات سنين طويلة في عقليات اجيال عديدة متواترة عاشت في اوجار عفنة من الجهل والتأخر ، والرقيق الفكري الخبيث !!... فبعد ان ترك المدينة ونزح الى القرية بوحي من عمته العجوز الدجالة التي أغرته بالذهاب الى هناك . حيث يعرس ابنها الوحيد ، ولكي يهجر وجه امه المليء بالدموع ـ وينعم باستنشاق الهواء ... بعد ان حرم منه في بيته الذي اغرقه البكاء .. ولم يلبث ان احس بالغربة تقتصر قلبه ، والسأم يفترس روحه ويكتسح وجدانه في ضيق أصم وكآبة صامتة ، ولم يطق البقاء مع العريس الجلف الغليظ .. (لانه كان مساء كل يوم ـ يمسك بالعصا ويضرب العروس في جنون ـ ضربا كما لو هي كانت ثورة العنيد ـ وكانت العروس تحت وطأة العصا . تهس مثل هرة نصيبها التعيس ـ اوقعها في يد طفل ابله خسيس ـ قاس هو العريس.) ..(من هنا تتجسم لنا المشكلة التي وعاها (محمود) واحسها بعفوية مشابة وشعور سليم اضفى على الموقف انسانية رقيقة وعطفا متمردا صاخبا . غنيا بالوحي والانفعال تمكن من خلاله ان يستقطب المشكلة من جميع ابعادها ومراميها ، وان يعطي صورة معبرة للافكار الرجعية المتمثلة في سطوة الرجل على المرأة في المجتمعات البدائية ، حيث تسام المرأة بالخسف والمذلة ، وتنقاد انقياد السائمة لرغبات الرجل ونزواته دونما احتجاج او معارضة . كما يصورها لنا الشاعر بمثل هذه البساطة والشفافية ، في موضوعية مركزة واعية .. وشيئا فشيئا تتضح سمات الادراك والوعي لدى (الطفل محمود) ، وتتبلور في عقله القدرة على التفكير المدرك وعلى المناقشة والرفض وعلى التفاعل مع التجارب الانفعالية والاستجابات النزوعية لما يعرض له من منبهات مستعينا على ذلك بخبراته السابقة وبأمكانية الربط بين الاحساسات والمشاعر المتباينة في العالم الخارجي ، ولا يمكن ان نغفل المقاومة المادية والاجتماعية التي كان يلقاها في وسط القرية والتي كثيرا ما كانت تعترض تحقيق رغباته الشخصية ونتيجة لكل هذه الدوافع والمؤثرات ، ولترقيه السيكولوجي . ازدادت قدرته على الارتفاع بعلاقاته بالبيئة ارتفاعا معنويا ، وعلى الارتباط الايجابي بالمجتمع وتنظيم علاقاته على اساس موضوعي واع وهذا ما نلمحه بوضوح وتجرد عند الطفل يوم رجع الى المدينة واصطدم بتعقيداتها وصراعها المحتدم ، وتنازعها الدينامي المتأزم . في مجال تنازع الافراد المادي والطبقي العنيف . مما اوقفنا على آخر مرحلة تطورية لحياة البطل في المدينة ، ووضح لنا بالتالي الاهداف البعيدة السامية والاماني الطيبة الاكثر انسانية والتي تبناها وراح يناضل من اجل تحقيقها مشاركا الاخرين في صراعهم ونزاعهم من اجل العيش الامن السعيد .. ويومها احس كأن صوتا مهيبا يناديه من بعيد .. صوتا عميق القرار مملوءا بالحب والتضحية،احس به بصورة عارمةهدارةوبانه هو الذي يحدد قيمه واهدافه ويعطيها المعنى الحقيقي الكامل .. (ومن بعيد ـ يخترق الضوضاء كالصوت الشريد ـ شيء جديد ـ صدى جديد ـ ينصب في أذنيه كاللحن صدى جديد ـ ويجفل الناس ويصمتون ـ ويهمسون ـ بعض الى بعض ، ومن زاوية حمامة تطير ـ ويزحفون ـ للصوت يزحفون ـ بأرجل بطاء ـ وطفلة تلعب في الفراغ ـ امام باب مغلق لمخبز قديم ـ وفجاءة ـ يركض محمود وفي اعماقه نغم ـ للساحة الحمراء ، والصفراء، من شمس ودم ـ « الخبز والسلام .. ذاك هو الصدى الجديد ـ نعم اريد الخبز للجياع ـ واندس في الحشد الكبير) (بعد هذه التجربة ، نراه يخلد الى السكينة والهدوء بعد ان (ادرك السر العميق للحياة).. وفي المساء كان مستلقيا على حصيرة تحت السماء الزاهرة بالنجوم ، في زي فلاح من الجنوب .. وبقي الى نهاية القصيدة في مناجاة شفيفة ودودة مع (القمر) مستعيدا بها ذكرياته ايام تشرده في دروب الحياة الشقية النكرة (محمود والقمر ـ وذكريات مثلما يبحث في كتاب ـ كهل فيستعيد فيه صور الشباب ـ مرت على محمود كالصور ـ عشرة اعوام بلا مكان ـ يأوي اليه او يعيش فيه ـ لكنما له غد في الحلم يرتجيه ـ له كيان)

وختاما بعد ان مررنا على قصيدة الشاعر موسى النقدي بمثل هذه العجالة والسرعة نستمحيه العذر ونرجو ان نكون قد اوفينا ما علينا من تبعة ، تاركين المجال للرد والمناقشة لما جاء في مقالنا

عراق ـ ناصرية ـ **عبد الرزاق رشيد الناصري**

الوان من القصة اللبنانية

تقديم : فيصل المسكي

الجزء الثاني ـ ١٢٠ صفحة

اهداني الاستاذ فيصل المسكي المجموعة الثانية من مجاميع الحلقات القصصية التي يصدرها تحت عنوان « الوان من القصة اللبنانية » طالبا مني ان اشحذ قلمي لنقدها وتقييمها ، والحق انها لمهمة صعبة ودقيقة ان يتصدى كاتب ما لنقد المعطيات الابداعية لامثال ميخائيل نعيمه ومارون عبود ورئيف خوري وعبد اللطيف شرارة الى اخر القائمة ، فاقلام هؤلاء الاساتذة قد دفعت الى المكتبة العربية حروفا نورية مضيئة عديدة تستحق التقدير .. تشع منها افكار نيرة ذات ارهاصات خلاقة مبدعة . والمنهج النقدي الذي سألتزمه واحاسب على اساسه والذي سيرميه القارىء بعد قراءة المقال مفكرا قليلا او كثيرا في مقدار السير الصحيح على الطريق الذي وضع اساسا للمسير النقدي، هو بسيط الى حد ما ، تحدده علي دائرة كبرى مشاعري كانسان عربي يحس بصدق تجربة القاص بعد ان احاول ان افهمها ، وتؤطره دائرة اصغر تتكون من توافق شكل الاقصوصة موضع البحث النقدي مع مضمونها واخيرا النتيجة .. او بعبارة اخرى: هل ضاع وقتنا عبثا ونحن نقرأ لباسم الجسر او اننا استفدنا شيئا حياتيا جديدا ؟ وعلى هذا من الكونكريت المنهجي سأبني لبنات نقدي .

المجموعة تبدأ بمقدمة للاستاذ فيصل المسكي يشير فيها الى اهمية القصة في الادب ويزكي هذا الفن معتبرا اياه الدعامة الكبرى التي تستند عليها باقي فنون الادب ويقول « ولعلنا على غير خطأ اذا قلنا ان القصة هي الشكل الاصح الذي تتكيف به وتتركز فيه خلاصة الفنون الادبية التي عالجها الانسان على كر الدهور .. ولهذا سمت القصة على بقية الاشكال الادبية » واعتقد ـ رغم اني اظن ان هذا الاعتقاد مبني علي شيء من ميلي الذاتي لهذا الفن وحبي له ـ ان هذا حق كل الحق وان المسكي لم يجانب الصواب فيما قال وعلى كل حال فليس المهم ان تكون القصة هي الاهم او يكون غيرها كذلك. فالاهم ـفي رأيي ـ ان تكون التجربة الادبية المعاناة ، صادقة وان ترصد لها العبارات اللازمة الموافقة لمضمونها بحيث يحس القارىء بصدق التجربة ويخرج منها بشيء. فالقصة « كانت وما تزال مثل كافة الفنون الجميلة، فعل خلق وابداع » كما يقول المسكي في مقدمته. فان كان هذا الابداع وهذا الخلق ارادين عفوين مسايرين لما يروم الكاتب ابرازه كان بها والا على الارض والفن القصصي معها السلام وفي الناس الانسجام لا المسرة .

اول الاقاصيص كتبها كرم ملحم كرم بعنوان « صيفها خريف » وللاستاذ كرم طريقته الخاصة التي لمسناها في « الف ليلة وليلة » ، طريقة تبحث عن التعبير اكثر مما تفتش عن المضمون وقد يضحي كرم احيانا كثيرة بالاخير في سبيل الاول ، فهو يحدثنا عن فتاة من شاغور حمانا امتنعت عن طلابها ، ثم يفلسف بعد ذلك نظرتها للحب بعد ان يسرف في مناجاة الجبال والجو ويوغل في الوصف الخارجي .. هو يركز على الهيكل العام للقصة مبتعدا عن حركاتها الدقيقة او الارتعاشات الداخلية الانسانية فيها او ما يطلق عليه النقاد المجددون « الجو النفساني الداخلي ... احبت زينة الحسون رساما من بيروت ، هجرها وهي في اوج العاطفة، فتظل تنتظره في شاغورها مثقلة بوعود جائشة المشاعر حتى ... نهاية الاقصوصة ، ان الناقد ليشعر بمجهود كرم قد ذهب عبثا لانه صور لنا لوحة ناقصة .. قطعها على النصف ، صحيح انه عرض لنا شريحة من حياة ولكنه قطع اتصالها بالام ، بالحياة ، فماتت ولم تستفد منها شيئا مع الاسف .

والاقصوصة الثانية ليوسف يونس بعنوان « قميص الست » وقبل ان يحلل يوسف القميص ويظهر لنا الوانه ، نراه يحلل لنا لبنان في شخص ابي فياض ـ احد الابطال ـ ويقول عنه « انه لبناني عتيق كالجبل وكالوادي كالسطح كالموقدة كالقدر والمغرفة كالطبلية وابريق الفخار « ثم يمضي هكذا .. اما انا فتحليله اعجبني لانه مرتبط باشياء حسية لذيذة، متخفية وحياتية من هنا جاءت الرصانة بالخفة المثقلة بالابداع ، ويمضي يوسف مشرحا حالة ابي فياض وسعدى زوجته وامسياتهما وسذاجتهما الجبلية العربية الشميمة .. فطرية وعروبة الميجنا والعتابا والدبكة العربية التي تهزهما . والقصاص هنا يغرس السم في الدسم منتقدا اوضاعا مجتمعية مألوفة في شرقنا العربي وقوله : « وتمر هنيهة العشاء بالتندر ... وكثيرا ما تمر بنائب المنطقة الذي لا يعرف القرية الا قبل الانتخابات باسبوع » دليل على ما اقول ، والمطلوب من القاريء ان يركز على نائب المنطقة هذا ويضخم صورته عاكسا في ذهنه صورة بشعة للانتهازية والوصولية التي عاشها العراق العربي قبل الثورة ويعيشها لبنان قبل انتفاضته ، دفعها الينا يونس بجرة قلم .

استدعى ابوفياض لتجبير ساق ربة الحسن والجمال والقصور والثراء السيدة ايفون زوجة الشيخ فائز وجيه المنطقة ، وهنا نرى القاص يقارن بين محيطي ابا فياض والسيدة ايفون وتوابعها وعلى كل حال فقد كان وصف العملية التجبيرية طويلا بالنسبة لاقصوصة ولكنه ملذ على كل حال وفي نهاية العملية تبرز لنا انسانية ابا فياض العربية المتجلية برفضه اجرا ما .. فهو قد اخذ مهنة التجبير كهواية وبعد ان يعود الى داره نلاحظ تبدلا في طباعه فهو يقارن بين سعدى وايفون ويرى الفرق الطبقي شاسعا وتلك حالة لابد معترية مثل هذا الانسان الذي خلط بؤسه بطيبته وسذاجته المظلومة بالاقطاع الرهيب المكلكل عليه ، ونجده هنا قد بدأ يقرأ باب الادب والغرام في جريدته بدلا من اسعار السوق وتلك لمسة ساخرة من يوسف توحي بالتبدل الذي اعترض ابا فياض .. يقرأ في الجريدة نبأ افلاس الوجيه وبتر ساق زوجته بعد ايام .. كيف افلس الاقطاعي الوجيه ولماذا بترت ساق زوجته ؟ امر سريع لم نتجرعه بسهولة ... اننا نشجب تدخل القاص بتوجيه كلام مباشر الى القاريء حيث يقول « اننا نأسف ان تنتهي الوجاهة الرفيعة الى مثل هذه النهاية المحزنة اما ان (حكمة العدو) الاخيرة .. القناعة غنى ، التي يرددها ابو فياض في نهاية القصة فامر موافق لنفسية الرجل ولكننا نشير الى سلبية الاتجاه والهدف رغم تهنئتنا ليوسف على قصته . الى هنا قصتين فقط ، سارتا على الطريقة السردية وتبعتهما اخرى على نفس الطريقة وعلى نفس التوافق مع يونس في التدخل المباشر حين يقول « ينبغي الا نستهجن هذا التعبير فالغني عند كثيرين يسبقه معنى شعريا »» ليس المهم يا استاذ شرارة الغنى والشعر .. انما المهم الا تتدخل انت بل تدع الامر طبيعيا والقصة يسيرها الابطال وليس الكاتب الا اذا جاءت جهيضة لا حياتية ولست اظن الامر كذلك بالنسبة لمقدرتك . لست ملخصا للقصة ولكني اقول ان البطل قد بدأ بجمع المال عن طريق التقتير والربا وان

الامر قد انتهى بتقول الناس حول علاقة مريبة له بارملة وان ذلك قد انتهى .. لا اريد ان اكمل فالنهاية طريفة .. تجعل القاريء يبتسم ولكنه لن يخرج بشيء مفيد .

ولنأت الى جورج رجى لنجده يصف (ليلة الزلزال) باسلوب مشرق جديد متطور ... رجل تائه بافكاره ولكنه يركز دماغه هذه المرة بامر مهم هو الزلزال الذي يسود المدينة ويدحرجها ... لا اظن ان من الطبيعي ان يتذكر البطل مغامرة غرامية في مثل تلك الساعة الرهيبة ... واذا كان تداعي المعاني هذا موجودا فلا اظنه يأتي الا بعد الجلجلة ورجوع السكون .. ثم تأتي الذكريات بعد جمع حطام الصفاء .

اما (مواليد) انسي الحاج فتبدأ بداية موحية معبرة عن واقع صادق فهو يقول عن حبيبين يتحادثان بلسان احدهما « ذلك ان اهتمامنا الكلي كان يدهش احدنا الثاني بما لديه ، فكنا نسرع بالكلام ونحشد معارفنا لاظهار اكبر عدد منها » .. هما مثقفان وهما يحبان وحبهما مثقف ايضا ! وكلاهما كان ينافس الاخر في اظهار مواهبه امام نصفه الثاني لكي يكبر امام عينيه ويملأ اكبر حجم ممكن من احساسه وقلبه ، ويسافر البطل الى باريس لاكمال دراسته الفنية ذات اللوحات المحروقة بالالوان والاصباغ وتظل فتاته تنتظر عودتهوجملته الاحلامية « هل تريدين ان تصبحي زوجتي ؟ » ومن الطبيعي ان تفوي باريس اللعينة الملطخة الروابط الاجتماعية قلب فنان مثل ربيع « فيبح صوت رسائله » كما يقول انسي الحاج ويتناساها ولكنه يعود ـ هكذا فجأة ـ ويتزوجها ولكن بقلب بارد كالجليد .. قلب مغموس بنبيذ باريس العارم الشهوات السايكوباتي المثلج ، وكان قد لعق مرضا من مومس باريسيةفسلمه لزوجهالتي ولدت طفلا مشوها. ربيع يريد مواليد .. يريد اولادا عربا اقوياء لا مخلوقات قذرة باريسية الهيكل .. زوجته تخاف النتيجة ، عندها تنتهي القصة بصدى في نفسالطرف الثالث .. الرواية ، فهي تهنيء نفسها بعذريتها وهنا يكمن سؤال « اكلهم مثل ربيع وزوجته ؟ » ... الحق انها قصة مشحونة تعكس حالات مجتمعية انيقة ، بورجوازية ومخزية نشرنق انفسنا دائما عن النظر اليها .

اما (بانكا دوليا) ميخائيل نعيمه فهي كلمة محرفة للبكلوريا ... الشهادة التي جاهد ابو شاهين بماله وماشيته العزيزة لينالها ولده منتظرا نتائج حياة طيبة بالنسبة له ، وينال شاهين مراده ويهاجر الى امريكا ليبحث عن عمل بعد ان ضاقت السبل امامه (هنا تكمن عقدة نعيمه نحو الغربة) ولا يخالفه التوفيق هناك فيرسل الى والده طالبا مالا للرجوع فيرسل له هذا شيئا يعتز به اكثر من المال والبكلوريا اللعينة التي اضنته ونزفت دم قلبه ... يرسل له بعرا وشعيرات ماعز ويقول لكلبه بعد ذلك « نمرود ، لقد اخذت بثأرك وثأري من البكلوريا » والحق ان من واجبنا ان نتوقف عند نعيمه قليلا فهذه الاقصوصة تعكس ارتباط جزء من كياننا العربي الانساني بالارض وحيواناتها وحنوه عليها واعتبارها جزءا لا يتجزأ من مقومات حياته تعكس لنا الحاف شبابنا على طلب الشهادة ولقب الافندية الذي لا يساوي خردلة امام العمل الجدي المثمر البناء الذي ينتظر شبابنا .. انها كفاح انسان الطبقة الدنيا للسعي وراء الصعود الى الاعلى والارتقاء الى طبقة ابعد ولو تعلقا بقشورها فقط ، ومن هذا نرى ان المضمون جيد ولكن الشكل لا يزال متأثرا بـ « مرداد » و « كان ما كان » ، لا يزال متقوقعا لا يخرج عن نتاجات نعيمه البعيدة وغير متطور نحو المنولوج الداخليمثلا او ازدواجية الشخصيات.. الىاخر طرق عرضالقصةالحديثة

وهنا نصل الى (الحبة الحمراء) وكاتبتها الفاضلة : ادفيك جريديني شيبوب .. قصة عقلية من نوع خاص .. فتاة ضائعة في بحران من الفلسفة المتشككة البوبهمية الهادرة لكل القيم تأرق ليلا مفكرة تائهة لا يدفعها الى النوم الاحبة منومة حمراء !

... تظل في دوامتها حتى تهتدي الى حل تجده في دكان المعلم اليوناني الاول ، وهنا تنتهي القصة . اما ما هو هذا الحل ، فقد قصر دماغي عن ادراكه وانا مذنب بهذه التهمة ، وهنا يحق لي ان ادافع عن نفسي بالقول : ان شيبوب قد فلسفت هذه القصة مباشرة دون ان تعمد الى شيء من الايحاء الذي يساعد القاريء على التفكير معها .. هي تعرض المشكلة امامه بلا لف او دوران وبلا اسلوب قصصي .. اسلوبها هنا اقرب الى المقالة منه الى القصة ومن هنا ذهب الشكل. اما المضمون فقد اوفيته حقه كما اظن .

و (المعلم الاول) لرشاد دارغوث تعكس لنا شيئا من ارادة الشباب في سبيل تحقيق اهدافه ولو بامتناعه عن التدخين كخطوة اولى ، وقد خرجنا منها بشيء يحمسنا نحو تشذيب ارادتنا وتوجيهها الوجهة الصحيحة... هذه القصة تعليمية تماما ... ولا نبالغ اذا قلنا ان دارغوث قد كتبها تكملة لخط سيره الادبي الذي بدأه بالقصص التربوية التوجيهية ، المضمون حسن ولكن الشكل ... سرد عادي ، لا موحي لولا مضمونه .

اما (صورة العذراء) التي رسمها لنا رئيف خوري بقلمه فان الاحاسيس التي يخرج بها القاريء عند انتهائه من القصة ، ايجابية دافعة الى الامام تشير له من طرف موح بانتشال نفسه من قذارات مجتمعه ، ولكننا نعتقد ان التوقيت الزمني الذي صاحب توبة القابلة الداعرة لم يكن منسجما وتركيز الحوادث ... لم تكن هناك مهدات تنبيء عن استطاعتها ان تتوب ... لا بد من جو مهيء للتوبة يقدمه لنا خوري قبل ان يضرب ضربته وقد كان الاحرى به ـ ولو ان هذا الاقتراح ليس في محله الان ـ ان يرمي مقدمة الاقصوصة الطويلة بعض الشيء ويبدأ بخلق الجو الملائم ... الذي ينتهي بايمان القابلة ..

والاقصوصة احمد مكي (رسالة ممزقة) كانت ملتمة الاوصال محكمة السبك تجبر القاريء على متابعتها حتى النهاية حيث يجد الحل لتلك العقدة المستحكمة .. تماما كاقاصيص (او. هنري) و (موباسان) ... لا اريد ان الخصها لان لذة قراءتها ستتهاوى ، ولكن لي اعتراض بسيط هو : ـ لمن كان مروان ينقل من كتاب الغرام تلك الرسائل ؟ الزوجته عندما كانت خطيبته ؟ ام لحبيبته (المزعومة) في مقر عمله ؟

من يصدق اني ما قرأت عنوان اقصوصة مارون عبود (بهلول) الا وضحكت مقدما قبل ان يشرح لي عبود الاسباب التي من اجلها يجب ان اضحك، وبذلك فقد انتفت الحاجةلقراءتي هذه الاقصوصة ولكني اريد ان اضعها تحت المشرحة النقدية ، ولا بد لعبود ان يستلقي قليلا امامي بعدما استلقى الكثيرون ـ مرغمين او راضين ـ امامه ولا بد دون التشهد من ابر النحل ... يمر عبود سريعا بمشكلة : ايهما اكثر فائدة العلم والمدرسة ام الارض وزراعاتها وحيواناتها ؟ ولا يحاول ان يضع حلا ما بل يندفع في سرد نكتة طويلة على شكل قصة رجل ثري اشترى عجلا فقال له الناس انه حصان .. مرة ثم اخرى وبعد ثالثة ، حتى صدق فامتطاه غير واثق ـ كما اظن ـ فسقط وسقط معه قلم عبود هذه المرة ، تهشم جسم البطل وهرب العجل وضحك الناس عليه .. العجيب ان مارون لم يكتف بذلك بل ضمن النكتة اخرى مشابهة لها .. لقد مضى زمن التسلية يا استاذ عبود وان كان لا بد منها فلتكن تعني شيئا او توحي باخر .

اما (القناع) لفؤاد حداد فهي تعالج شيئا انسانيا متأزما مبتوت في شرقنا العربي ... الفني الذي انخمه ماله فلم يدر ما يفعل بعد ان وجد الامور ميسرة له تماما ، وايقن تماما مثل كاليجولا البير كامو – ان الحياة سخف لا معنى لها وان عليه ان يخرج منها ، ومضى في الطريق السلبي الى القبر .. نعتقد ان القاص لو حاول رسم صورة خيرة لهذا الثري الشاب الحساس وتركه يهتم بالام مجتمعه وساهم بماله في اسعاده سالكا طريقا ايجابيا لكان الامر رائعا ... وعلى كل فالاقتراح غير وارد مع الاسف ولكن شكل القصة اعجبنا رغم ان العرض – بالنسبة لجميع القصاصين المتقودين – ينحو نحو السردية لا غير .. ان هذا ليس انتقاصا ولكنه تجسيد واقع .

هنا يأتي دور سميي العزيز : باسم الجسر واقصوصته « غدا تشرق الشمس » ولا اعتقد ان هناك من يعرض لي قائلا : ان لاسم باسم سحرا خاصا في نفسك ، ان قلت ان هذه هي القصة التي كنت ابحث عنها في مثل هذه المجموعة .. قصة (او اقصوصة فلا يهم هذا التحديد الان ونحن نعيش جوا رائعا) تعاني مشاكلنا .. مشاكل جزء من شعبنا العربي المرابط شعبنا الذي سيعود الى بلاده قريبا، لست اطيق كلمة اللاجئين فهي عار علينا، انما العائدين اروع واعمق دلالة واكثر تفاؤلا وانسانية وحقيقة .. تجد باسم يخرج من الخاص الى العام ومن الذات الى الناس فيعرض لك شريحة او قطاعا يوميا صغيرا من حياتهم الناعسة في المخيمات ثم ينهيها بأمل ورجاء ينتشيان – بايجابية – في صدر احدهم ، حيث « مضى سائرا الى خيمته بخطى واسعة يطرق الارض بحذائه وكانه يسمع وقع اقدامه تدق بلاط الشارع المؤدي الى منزله .. في حيفا » هذا ما نريده ،

من كتب

دار الاداب

١ – القومية والانسانية (دراسة)
للدكتور عبدالله عبد الدائم

٢ – الدمع المر (قصص)
للدكتور سهيل ادريس

٣ – قناديل اشبيلية (قصص)
للدكتور عبد السلام العجيلي

٤ – الناس في بلادي (شعر)
للاستاذ صلاح عبد الصبور

ايجابية الحياة ورسم لمشاكلها واشارة الى حتمية التطور وطبائع الاشياء.. لا اريد ان ازيدولكني اهنيء باسما وكفى .

وقصة علي شلق (من حفر حفرة) معاناة انسانية ايضا ، نرسمها بكلمتين شهيرتين « غسلا للعار » المشكلة الدامية في شرقنا اينما امتد وارحبت ارجاؤه ، والدكتور شلق يعرضها علينا – رغم عتق المحاولات فيها – باسلوب مشرق وضاء وبتعابير منحوتة جديدة .. ان الانسان ليرتعد عندما يقرأ صورة الانتقام بعد خروج الشاب من الحانة ، والنتيجة : لقد بعث شلق المشكلة التي تمثل يوميا على مسرح حياتنا من جديد ورسمها باسلوب يفغر له قدمها وكثرة تجارب كتابنا الانفعالية فيها .

لست اعرف عن صديقي فيصل المسكي كثيرا فما هي الا اهداء الكتاب مني ومنه ، ولكني اجزم بانه يشتغل بالصحافة بعد ان قرأت له بداية اقصوصة (الاستاذ) ، فتكشيرة رئيس التحرير التقليدية ليست امرا جديدا بالنسبة لي ولا يعرفها – واستميح الدكتور عذرا – الا من عانى باواها ... ومنهم المسكي .. و(الاستاذ) لا تعطينا كثيرا عن الاستاذ بقدر ما تزيدنا معرفة بابيه .. الاب المكافح الذي نشف عرقه بكل المهن لكي يدفع بابنه الى التخرج في كلية الحقوق ليصبح « سيد نفسه .. لا يحكه احد » مثل « عشرات الشباب المساكين الذين ينفقون العمر في سبيل الحصول على الشهادة والنصف الثاني موظفين .. يبيعون انفسهم وكرامتهم بأسم الوظيفة » وعندما مضيت في الاقصوصة وجدت ان المسكي لا يزال بطلا مشاركا جانبيا فيها ، فهو يسعى وراء الريبورتاج لاهثا – مثلي في يوم ما – فيعثر على صباغه .. ابو الاستاذ في احدى المحاشش وهنا نلمس النكتة الطافية عندما يقول له الصباغ « من هو الحمار الذي صبغ حذاءك ؟ – فيجيبه « انا » ، ان المشكلة ليست هنا ... لقد صعد ابن الصباغ على اكتافه ، واضحى اسمه « حضرة صاحب السيادة الاستاذ المحامي » فتنكر لوالده مضطرا امام زملائه في حفلة التخرج لانه سيفضحه اجتماعيا فادرك والده انها بداية النهائية وانسحب من فلك ولده مغرقا همسه في السجاير الملفومة .. اريد ان اقول ان الولد معذور وان امثاله موجودين في المجتمع ، ولكني كنت اريد من المسكي ان يدعه يفخر بوالده قائلا : « هذا هو الذي عملني محاميا وليس غيره » فيكون الامر ايجابيا مع الحياة وعلى كل حال . فالمسكي لم يف الواقع فيما رسم وليسمح لي ان اروي له هنا قصة ما : كانوا في العهد البائد في بغداد يزيعون تعليقا سياسيا مملوءا لؤما وشتما للرئيس عبد الناصر كل يوم ثم ينهونه باغنية « البوسطجية اشتكوا » معرضين بسيادة والد الرئيس ، وكنا نشعر بالفخر – مع جمال – اذ نرى والدا ... رجلا من مصر ... يشتغل في البريد قد دفع الى شرقنا العربي بامثولة للوطنية العربية المخلصة ... لا اريد ان اعلق بشيء ولا ان اقارن واقرك ذلك لمن يريد .

والان – وبعد ان انتهينا من نقد هذه المجموعة – لا بد لنا ان نبارك هذا العمل الذي قام بهويقوم فيصل المسكي ، ولا بد من مخطط سريع ارسمه لانطباعي الخاص عن هذه الاقاصيص : كلها على الطريقة السردية فقط.. اغلبها يتسم بطابع النكتة ، وسلبية المعالجة الحياتية كانت متوفرة في كثير من الاقاصيص .. بل كلها عدا اقصوصة باسم الجسر وجزء من اقصوصة ميخائيل نعيمة ، فقد كانتا ايجابيتين كلا على مقدار ما قلت عنه.

بغداد – دار المعلمين العالية

باسم عبد الحميد حمودي